العدد (1982) السنة الثامنة - الاربعاء (8) كانون الاول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

منطقة محررة

في البحث عن جواب للسؤال الكبير

نجم والي

منذ صيف الماضي أصبح يملك مكانين للإقامة، الأول والذي هو الأقدم، في برشلونة، حيث بدأ اللعب هناك منذ أن كان صبياً في فريق الناشئين، الثاني والذي هو حديث، في شارع "أندريس إنسييتا رقم ١"، في بلدة صغيرة تقع جنوباً من برشلونة على مسافة تزيد عن الألف كيلومتر، حيث تمتد السهوب المجدبة، النصف صحراوية لإقليم كاستيا (أو قشتاليا، كما أطلق عليها العرب قديماً). البلدة التي هي أقرب للضيعة، والتي لا يزيد عدد سكانها عن الألفي نسمة، قرر رئيس بلديتها قبل اسابيع قليلة تعميد أحد شوارع المدينة القليلة أصلاً على أسمه. هناك وتحت إشراف أسطة البناء المعروف في الضيعة، والذي هو والد إنييستا أيضاً، بُني البيت الذي سيكون بمثابة متحف في المدينة. في وسط قاع المسبح الجاف الذي تقدم حديقة البيت، إرتفع العلم الصغير الذي يحمل إشارة نادي برشلونة لكرة القدم، النادي الذي يلعب فيه الشخص المُحتفى به، أندريه أنييستا، وعلى باب البيت رُسمت صورة حذاء رياضي، فيما نُقش على جدار البيت الاسم والرقم الذي طُبع على ظهر تي شيرت اللاعب الدولي المشهور.

بالنسبة للقارئ الذي يُتابع الصحافة الإسبانية، سيعرف، أن أندريس انسييتا، الذي أكمل للتو سنّ ٢٥ عاماً، أكثر اللاعبين الإسبان المعروفين بتواضعهم وعدم حبهم للظهور أمام الكاميرا، لم يعترض على أفكار الأب الفخور التي تركت آثارها في كل زوايا البيت، وافق عليها على مضض وبصمت.

حفل إفتتاح البيت كان يجب أن يكون الذروة العليا لأحسن الأوقات في حياته، خصوصاً وأن الأمر أصبح معروفاً للرأي العام، تتحدث عنه الصحف في إسبانيا، فمنذ الدوري الماضي لكرة القدم في أسبانيا، كان على جمهور اللاعب المتواضع أن يرى بعينيه الصعوبات التي بدأ يمر بها أشهر لاعب أسباني شاب في الوقت الحاضر، وبصورة مستمرة. سعادة تلك الاشهر التي فاز فيها ناديه برشلونة (أو البارصا، كما يُلقب في أسبانيا) بكل الألقاب، المحلية والدولية، كأس دوري كرة الأسباني، كأس الأندية الأوروبية، كأس الملك خوان كارلوس، كل تلك السعادة جعلته ينفتح على العالم الخارجي أكثر، بعد أن كان منطوياً على نفسه، يعيش في عالمه الداخلي وحسب، كان الفوز مثل هدية بالنسبة له، جعلته يضحك، يمزح، وهو نفسه كان يعتقد أن السعادة الشخصية التي شعر بها في تلك الأيام ستدوم، كما صرح هو نفسه في مقابلة أخيرة للجريدة الإسبانية الواسعة الإنتشار "البايبس"، لكن بدلاً من ذلك، كما يقول، "كان الصيف ذلك أسوأ صيف عشته في حياتي".

عندما إنتهى رنين الإحتفاء، عندما عادت الحياة الطبيعية وخيم الهدوء على نادي برشلونة، وجد إنييستا نفسه يدخل فجأة في نفق كآبة داخلية مشوشة وصعبة "أنه أمر خاص بالجسم، بالحياة، بالطبيعة". الميلانكوليا أصابت الجسم بالعدوى، الميلانكوليا هذا الفيروس الغامض جعل جسمه كله يشعر بالشلل، لا يفكر بالتدريب، وكأن فيروساً فيزيولوجياً هجم عليه. لم يشأ الإستسلام، يقول وهو يروي قصته، لكن المصائب عندما تأتي، تأتي دفعة واحدة، ففي الوقت الذي ظن فيه، أنه بدأ يسترجع قواه، وعندما بدأ يهيئ نفسه للعودة إلى ساحات التدريب مع زملائه من نادي برشلونة، في ٨ أوغسطس/ آب في العام الماضي، مات أنريكه جاركه، كابتن الفريق الإسباني "إسبانيول برشلونة"، صديقه الحميم ورفيق دربه في الرياضة منذ الطفولة، مات فجأة بالسكتة القلبية. بعد ذلك وبشهور قليلة فقد رفيق درب آخر له. هذه المرة ألفونسو لاريوس، زميل وصديق له من أيام اللعب في نادي برشلونة (البارصا) وهم شباب صغار يلعبون لفريق الناشئين، مات في حادث سيارة. وأخيراً كان عليه أن يقرأ خبر إنتحار زميله الآخر، الذي قتلته الكآبة، الألماني روبيرت إنكه، الذي كان حتى عام ٢٠٠٢ حامي هدف فريق برشلونة. روبيرت إنكه رافق الخطوات الأولى التي خطاها إنسييستا كلاعب كرة قدم محترف في فريق برشلونة، والذي كان أحد الذين علموه أهم درس في الرياضة: التواضع. "أنت تفكر، وتفكر"، قال إنسييتا في حواره ذلك للصحيفة الإسبانية، "أنت تضع الأسئلة الكبيرة نصب عينيك، دون أن تحصل على جواب: من أجل ماذا كل هذا؟"

الأسئلة "الوجودية" تلك راحت تتداخل مع الوقت مع لعبه، تؤثر على طريقة أدائه في اللعب، منذ ذلك الحين، بدأ اللاعب الدولي المعروف بمهارته ودقته يرتكب الأخطاء الصغيرة، هناك ما يعوزه، وما لا "يستطيع العلماء جميعاً قياسه"، تعوزه الخفة الحاسمة في اللعب، تعوزه الإنطلاقة، الوثبة المتحمسة، كل ما يُعجل باللعب. ١٠٦ أيام بعد لعبة كأس الأندية الأوربية في روما لم يشترك في أية لعبة. ففي الوقت الذي أصبح وبسبب لعبه الماهر والشجاع في صيف العام الماضي وقبلها في لعبة كأس العالم، أحد اللاعبين الثلاثة الذين كانوا مرشحين للفوز بلقب لاعب عام ٢٠٠٩ لكرة القدم في العالم، كان أصبح مشكلة بالنسبة لناديه، نادي برشلونة (في النهاية حاز على اللقب زميله الأرجنتيني ميسي)، إذ من غير الممكن التنازل عنه في ساحات اللعب. في اللعبات النهائية لكأس أوروبا في نوفمبر من العام الماضي، إضطر مدرب الفريق التخلي عنه في اللعب ضد فريق مايلاند مثلاً، وهو نفسه لم يخف خشيته من مساعدة فريقه بالفشل إذا لعب، قال بصراحه، أنه يعوزه الحماس!

"يجب عليّ أن استعيد هذا الشعور الجميل والرقيق، أن أكون لاعب كرة قدم"، إعترف إنسييتا في مقابلته المذكورة، وعندما يقول ذلك، يتذكر المرء بقوة وبصورة أوتوماتيكية ذلك الشعور العارم الفياض من شهر مايو/ مايس من العام الماضي، عندما لعب في واحدة من أجمل مباريات كرة القدم في تاريخ صعوده الرياضي، في تلك اللعبة التي لعب فيها بحماس ومهارة ضد فريق جيلسيا الإنكليزي، لعب إنييستا "من القلب"، كما يقول، كانت آخر لعبة جميلة له في العام الماضي، عندما سدد كرة قوية إلى زاوية المرمى، كرة سريعة وقوية لم يستطع حارس المرمى الإنكليزي صدها، وكان ذلك هو الهدف الحاسم الذي جعل فريقه يفوز في تلك اللعبة الحاسمة ويصعد بذلك إلى الأدوار النهائية، ثم ليفوز في النهاية بكأس الأندية الأوربية من الدرجة الأولى. لم يكن ذلك قدراً، لم يكن ذلك عادلاً، يقول إنييستا المتواضع، كان ذلك هو ما يمكن أن يُطلق عليه إحدى اللحظات "غير الواضحة"، نعم إحدى المفاجآت "الجميلة" لكرة القدم.

أندريسيتو، كما يُلفظ اسمه تحبباً بصيغة التصغير الإسبانية، هو في الحقيقة ما يزال صغيراً، ذلك ما يقوله وجهه الطفولي، وطوله الذي لا يزيد عن متر وثمانية وستين سنتمتراً لا غير، أندريسيتو الذي لا يملك الفخامة الجسدية والعضلات التي يمكلها أغلب لاعبي كرة القدم الأوربيين، كان لفترة طويلة هو الإبن البار والمحبب لبرشلونة. المدينة ستصبر على الوضع الذي يمر به بالتأكيد، وهو يعرف ذلك. "رأيت عدداً كبيراً من الناس تبكي من السعادة بعد الهدف الذي سجلته"، قال في مقابلته تلك، "هذا ما يشجعني دائماً: لم يكن مهماً بالنسبة لي الفوز بلقب لاعب كرة القدم الأول للعام، الأهم هو رؤية الناس هؤلاء سعداء. كانت تلك هي أجمل اللحظات في حياتي". وللحظة واحدة يبدو أندريه إنسييتا مثل إنسان، عثر على جواب على السؤال المحير الكبير، من أجل ماذا يعيش؟

...ولكن ما هي العمارة المعاصرة؟

د. خالد السلطاني

معمار واكاديمي

عند طرح سؤال من قبيل: ما هي العمارة؟؛ سنسمع من كثر إجابات مقنعة وصائبة عن هذا التساؤل. لكن طرح تساؤ لا آخر مضمونه: .. ما هي العمارة المعاصرة؟. سنتوقع ردوداً مبهمة وغامضة، وأحياناً غير صحيحة. ليس لان "المجيبين" عن هذا التساؤل غير مهنيين، فمعظم المهنيين، هم ايضا حيارى امامه. وهذه الحيرة المشوبة بالارتباك، سببها غربة و"غرائبية" نتاج العمارة المعاصرة. ما جعل كثراً من الناس يقلعون عن مواكبة ما تنتجه "الورشة المعمارية" وينقطعون عنها. فهي عند رأي كثر، (كثر من المهنيين وطبعا غير المهنيين)، منتج مليء بالمتغيرات المتسارعة والدراماتيكية، وحافل في "انقلابات" أسلوبية متضادة في الذوق والفهم والطرح!. غير ان الحصول على اجابات ملتبسة وأحياناً موارِبة، وفي الكثير من الحالات غير مقنعة، لا يعني عدم شرعية السؤال، بل وربما بسبب هذا كله، يكتسي هذا السؤال حصافته وآنيته ... وشرعيته ايضاً. وهو ما سعى وراء الإجابة عنه، على سبيل المثال، الصحفي الفرنسي "جيل دو بور" Gilles De Bure، في كتابه الشيق " حديث عن العمارة المعاصرة" Talk about Contemporary Architecture، الصادرة ترجمته الانكليزية حديثا (٢٠١٠) من دار نشر "فلاماريون"، بعد ان صدرت عن الدار نفسها طبعته الفرنسية سنة ٢٠٠٩.

يعجبني، شخصياً، حديث الصحفيين عن العمارة. وهذا الإعجاب مرده إلى أسباب كثيرة؛ منها مقدرتهم الشجاعة (هل أقول الجسورة؟) على التعاطي مع موضوعة العمارة، بمقاربات مهنية متنوعة. كما انهم، ولكونهم بعيدين عن المهنة، فبوسعهم ان ينظروا الى العمارة من خارجها، عكس معظم المهنيين الذين يجدون صعوبة كبيرة في التخلي عن أمكنتهم "داخل" العمارة؛ مستمتعين بمواقعهم فيها، محيطين أنفسهم بـ "غار" مميزاتها، وما تسبغه عليهم من صفات. معلوم ان الدراسة الموضوعية لاية ظاهرة، كما تعلمنا المناهج النقدية، يتعين ان ترى بشمولية وبادراك واسع، والاهم، ان ينظر لها (للظاهرة) من الخارج ، وليس من الداخل. بيد اني اكن للصحفيين اعتبارا مضافاً، لكفاءتهم في إيصال أفكارهم ورؤاهم إلى الآخرين بسهولة ويسر يثيران الدهشة. كان صديقي "جلال الماشطة"، يردد دوما مقولة لصحفي روسي، عن وجه الاختلاف بين "العالم" و"الصحفي". ففي حين الاول ".. لا يعرَف كل شيء، لكنه يعرف امرا محددا بعمق.!" فان الثاني/ الصحفي، "يعرف كل شيء، لكنه لا يعرف امرا محددا بعمق!". وبالطبع، فان هذا التصنيف، لا ينطبق على الصحفي "جيل دو بور" مؤلف الكتاب اياه. فهو بالإضافة الى معرفته "أسرار" مهنته الصحفية (وربما اسرار مهن آخرى!)، فانه يعرف العمارة ..بعمق. وهو ما أهله ليكون احد المحررين في اشهر المجلات المعمارية العالمية: "العمارة المعاصرة" Architecture d'aujourdhi AA)) ذات التأثيرالمهني الكبير، ومجلة "الفنون الجميلة" وكذلك "مجلة الفنون" وفي غير ذلك من المجلات الفنية الفرنسية المرموقة. ويتعين عليّ الاشارة، والشيء بالشيء يذكر، بان ثمة هوى خاصا يجد مكانا له في العلاقة بين العمارة والصحافة. وهذا الهوى المفعم بالشغف، هو الذي يجعل من الصحفيين، احياناً، معماريين مشهورين. لنتذكر ان "ريم كولهاس" (١٩٤٤) Rem Koolhaas ، كان بالاساس صحفياً، قبل ان "يتحول" الى العمارة، وليضحى، بعدئذ، واحدا من نجوم عمارة ما بعد الحداثة، (وهو بالمناسبة استاذ "زهاء حديد" ايام دراستها في A.A)؛ كما ان "لو كوربوزيه" ذاته، عرف العالم المهني مشروعه التخطيطي – المعماري التجديدي، من خلال مجلته "اسبيري نوفو" (الروح الجديدة)، التي اسسها في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين. ومعلوم ان الأوساط المهنية العالمية علمت بمشاريع "الكونستروكتيفيزم" الروسي، ليس عن طريق المشاريع المنفذة، وانما عبر مقالات مجلتهم "العمارة المعاصرة" (C.A.). وهل ممكن ان نتناسى، هنا، ذكر اسم الصحفي والكاتب " سيغفريد غيديون" (١٨٨٨-١٩٦٨)، وكتاباته الصحفية التي اثرت تأثيرا عميقا ونافذا في مجمل منجز عمارة الحداثة؟ وكذلك الكاتب والصحفي (قبل انتقاله الى مهنة العمارة) "جارلس جينكز" (١٩٣٩) Chares Jencks، والذي بفضله ودأبه، وبفضل كتاباته تم الترويج لعمارة ما بعد الحداثة، مؤسساً وخالقاً مصطلحها وموضحا مفاهيمها التنظيرية. لكن الإسهاب في هذا، سيولد حكاية أخرى بالطبع. اذاً، دعونا نرجع الى موضوعنا الرئيس، الى كتاب "جيل دو بور"، ومعنى العمارة المعاصرة.

يجيب المؤلف الفرنسي في كتابه ذي ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط، باختزال شديد، عن ذلك السؤال المحير والغامض، لكنه، ايضا، المهم معرفيا. وهو يلجأ الى عرض مختلف الأفكار بطريقة مميزة وشيقة ومفهومة،، وخصوصا مفهومة. ذلك لانه مطلع بان كتابه سيقرأ من قبل كثر، مختصين وغير مختصين. يقسم "جول دو بور" كتابه الى عشرة فصول يتبعها بملاحق. وقد تعطي عناوين تلك الفصول للقارئ، تصورا واضحا عن القضايا التي يثيرها المؤلف، وعن اسلوب مقاربته في عرض تلك القضايا و"تفكيكها".

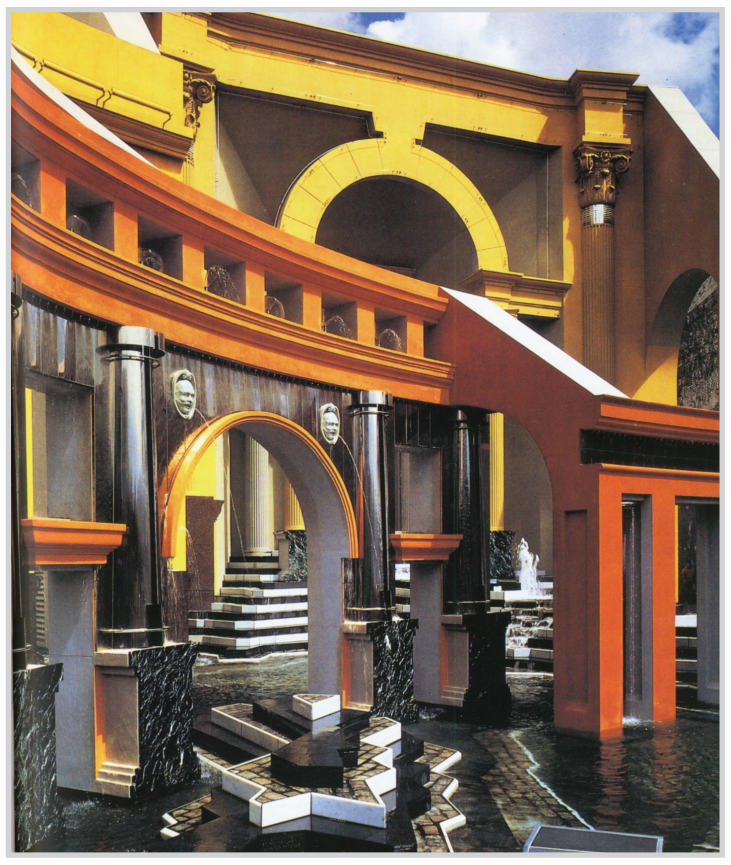

وساذكر هنا تلك العناوين. في عنوان الفصل الأول نقرأ ما يلي: (– هل قلت العمارة المعاصرة؟)، وفي الثاني (– العمارة الخ...)، وفي الثالث: (– سؤال الطراز)، وفي الرابع: (– الجماعي ام الشخصي؟)، وفي الخامس: (– هل قلت: ثقافة؟)، وفي السادس: (– العام / الخاص)، وفي السابع: (– حلم الآلات)، وفي الثامن: (–إلى الأمام وصاعداً)، وفي التاسع: (– الرواد)، وأخيراً عنوان الفصل العاشر: (– ٣٠ معمار، وأعمالهم المهمة). هذا عدا العناوين الفرعية العديدة التي يتضمنها كل فصل من فصول الكتاب.

لا يألو المؤلف جهداً في تقصي وتثبيت صور نماذج العمارة المعاصرة في كتابه، لايضاح ما يريد ان يوصله الى المتلقي. فالنص التصويري لديه، لايقل اهمية وضرورة عن النص الكتابي، وهما كلاهما مميزان. ثمة اختصار ووضوح عاليين تنم عليه لغة الكتاب. فالمؤلف ضليع في اجتراح اسلوب شيق وحتى مثير في توظيفه لمفردات من خارج المتداول المعماري، وجعلها تتسق مع افكاره الموضحة للاحداث المعمارية التي يتعاطى معها، مستخدماً عبارات متناقضة بكثرة، واحيانا موهمة بالتناقض تدلل على معناها المفارق. وكل ذلك حاضر في الكتاب، ابتغاء إلى تيسير وصول الافكار المتعلقة بشأن امر معرفي معقد، لطالما اعتبر نخبوياً، او في الاقل منتجاً غير مألوف وغير شائع لدى القارئ.

في الفصل الخاص بالرواد، يشير المؤلف الى الاحداث التي سبقت ظهور العمارة المعاصرة، والتي يتجنب تسميتها في "عمارة ما بعد الحداثة". فالمصطلح الاخير، لديه، يعتبره محض حالة تمظهر من تمظهرات العمارة المعاصرة. وهو في هذا الفصل يؤشر احداثاً يسبغ عليها صفات خاصة، تدلل على اهميتها وما ترمز اليه من معان. وجميع تلك الاحداث مختارة من نماذج المُمارسة المعمارية التي سبقت ظهور "مركز بومبيدو" (١٩٧٧) في باريس، والذي يعتبره المؤلف مفصلا مهما في "تحول" العمارة من حديثة الى عمارة معاصرة. وامام كل صورة منتقاة، من سجل العمارة خلال عشرين سنة الاخيرة، لحين ظهور المبنى الباريسي الشهير، يضع المؤلف "مفردة" لغوية توضح خصوصية الحدث المعماري المنتقى، واهميته في التحولات الاسلوبية. ويبدأ من "رونشان" (١٩٥٥) لو كوربوزيه، ويدعو نموذجها بـ "المقدس"، ثم "المفارقة" الى متحف غوغنهايم (١٩٥٩) لفرنك لويد رايت، و"عدم التماثل" الى "فليرمونيا برلين" (١٩٦٣) لهانس شارون، و"اللون" لدارة في نيو مكسيكو (١٩٦٨) للويس باراخان؛ و"الغنائية" الى سدني اوبرا هوس (١٩٧١) ليورن اوتزن، و"الخفة" لملعب ميونخ الاولمبي (١٩٧٢) لـ فري اوتو، و"الصمت" الى مجمع البرلمان في دكا (١٩٧٤) لـ لويس كان، و"الهرطقة" لمبنى في هيوستن (١٩٧٥) لمجوعة (سايت) وغيرها من الاختيارات التي يوضح المؤلف في كلمات مختزلة طبيعة المبنى ومسوغاً عبرها، نوعية خياراته.

لكن الفصل الاخير، والمتضمن اعمال ثلاثين معمارا، يراهم المؤلف مهمين وأساسيين في خلق مفهوم "العمارة المعاصرة" وادامته في الخطاب؛ يمكن ان يكون "معجماً" معلوماتيا، عن ما يجرى الآن في "الورشة المعمارية" المعاصرة. بعض اسماء اولئك المعماريين ومنجزهم التصميمي معروفة لدى كثر من المتابعين. لكن اسماء البعض الآخر، ستفاجئ القراء بالأهمية الكبيرة التي يضفيها مؤلف الكتاب على منجزهم التصميمي، واختيارهم ضمن مجموعة الثلاثين. وعدا زهاء حديد، فان منطقتنا خلو من حضور تلك الاسماء، التي توزعت جغرافيا ما بين اوربا (اوربا الغربية تحديدا) وامريكا الشمالية وقسم من بلدان امريكا اللاتينية واليابان. في تلك القائمة، لم اتعرف شخصيا، على خمسة او ستة من المعماريين المذكورين؛ رغم إني اعتبر نفسي، بحكم المهنة، من المتابعين للشأن المعماري، وهو اعتراف يومئ ليس الى صوابية خيارات القائمة التي شكلها المؤلف، بقدر ما يشير الى النقص المعرفي، تجاه غزارة المعلومات وكثرتها عن العمارة المعاصرة، التي تجعل المرء احيانا، عاجزاً عن استيعابها او متابعتها. وتبقى مهمة اصطفاء معايير التقييم المعتمدة من قبل المؤلف، موضوعا قابلا للنقاش والاجتهاد، لكن الثابت في تلك المعايير، هي خاصيتها المتغيرة بتغير الازمنة، وتبدل الذائقة الجمالية. والمؤلف نفسه يشير الى ذلك؛ عندما يتحدث عن موضوعة "القبول/ الرفض" في العمارة. مذكراً بان اشهر المآثر المعمارية والهندسية ، مثل بناء برج ايفل (١٨٨٩) في باريس، وتشييد جسر البوابة الذهبية (١٩٣٧) في سان فرانسيسكو، وما رافق تشييدهما من احتجاجات صارخة، كان الزمن كفيلا بتغيير اذواق الناس، ليضحى هذان المنشآ أن من روائع عمارة المدينتين، بعد ان كانتا محض مشاريع غير جديرة بالبناء. ويستشهد المؤلف، في هذا الصدد، بمقولة مثيرة يسندها الى "جون هيوستن" مخرج الأفلام الأمريكية من ان "وحدهم السياسيون والغانيات... والابنية القبيحة، تحظى بالقبول، اذا استمر حضورهم على امتداد فترة زمنية بما فيها الكفاية!". وهو قول، رغم مفارقته، لكنه قطعا يشي بالصواب. في الاقل فيما يخص "الابنية القبيحة". هذا امر، انا واثق منه. اما فيما يخص السياسيين والغانيات، فالعهدة على "جيل دو بور" في نقله مقولة المخرج الأمريكي!.

وفي العموم، فان كتاب "حديث عن العمارة المعاصرة" جدير بالقراءة، خصوصا لاولئك الذين يودون ان يضيفوا معلومات معرفية مميزة الى خزين ثقافتهم، وسيكون امرا مناسبا ومفيدا، لو تمت ترجمة هذا الكتاب القيّم والممتع الى العربية.

صدرت عن المدى

قصائد فوزي كريم لنهار غائم

المدى الثقافي

عن دار المدى للثقافة والنشر صدرت المجموعة الشعرية الجديدة "قصائد لنهار غائم" للشاعر فوزي كريم. المجموعة تضم قصائد الشاعر التي كتبها في الأعوام الثلاثة الأخيرة. القصائد لم تُنشر من قبل. أمر دأب عليه الشاعر في مجموعاته السابقة، ومنذ عقدين من الزمان. ولعل حرصه على أن تُقرأ القصائد مجموعة بين غلافي كتاب، وداخل مناخ شعري واحد، هو العامل وراء هذا الأمر. "قصائد لنهار غائم" هي المجموعة الشعرية الثامنة عشرة من كتبه الشعرية التي صدرت في العربية، أو مترجمة إلى اللغات الأوربية. وهي الكتاب السابع والعشرون من مجموع كتبه شعراً ونثراً.

في الغلاف الأخير انتخب الناشر قصيدة "الشرك" :

وفي لحظة يحدثُ الشيءُ. يحدثُ صدفة:
كأن تتحاشى خِلافاً مع ابنك أو زوجتك،
أو مع رأي طرأ
في الكتاب الذي كنتَ تقرأُه أملاً بالتوافق.
فتأخذُ ركنًا بحجة أن تتأملَ،
أو حاجة أن تُعيدَ انسجامَ المغنّين
والعازفينْ
بداخل أوركسترا كيانك ..
وإذْ بكَ، لا عنْ إرادة
تقاومُ لحناً نشازاً بدأْ
على آلة، لمْ تكن في الحسابْ.
تقاومُه، أوّلَ الأمرِ، عن رغبة في
العتابْ، ولكنه يتفشّى بلون الوشَاية
بين صفوف المغنينَ والعازفينْ...!
وإذْ بكَ تدخلُ، لا عنْ يقينْ،
خيوطِ الشركْ،
وتهلك، فيمنْ هلكْ!

في ملتقى الخميس الإبداعي

جاسم عاصي
محطات في مساقط الضوء

محمود النمر

من جديد نعاود مد أجنحة الإبداع ونحلق فوق مدن الجمال لأديب ولد على مقربة من زقورة أور السومرية وتعمد بماء الفرات الذي يغسل كل يوم وجه الناصرية ،وهو ذاته الذي توضأ جسده بعذوبة شط العرب يوم سحبته البصرة الى حضنها الدافئ قبل ان تستدعيه كربلاء الحسين ابنا لها، بهذه الكلمات قدم الشاعر هادي الناصر ضيف الخميس الإبداعي الروائي والباحث جاسم عاصي، وقال: ضيفنا اليوم تضج روزنامته بإبداعات شتى ،فهو الذي دس لنا خارطة (الخروج من الدائرة) و(خطوط بيانية) وجعلنا نؤمن بان (الليالي حكايات) ومن ثم تتوالى انجازاته لتصل الينا متتاليات ما بين القصة والرواية والبحث كان الألق يلاحق هذا الضيف الكبير .

وتحدث الروائي جاسم عاصي عن تجربته منذ البدايات الأولى والتشكلات التي تكونت منها التجربة الابداعية عبر اربعة عقود،واسترسل في حديثه عن انتماءاته الفكرية والسياسية وإيمانه بالفكر الماركسي الذي كان الدافع والمحرك الواعي للمعرفة وخلق مجتمع يتخلص من جميع ادران الخطيئة واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

كان جاسم عاصي يتمتع بصفة الصدق وحلاوة الحديث ومرونة في المعنى التوضيحي لجميع ما ذكر او ما مر به وقال: ان مدينة الناصرية هي مدينة اسطورية، وكنت ابحث في الذاكرة الجمعية وجدت ان المدينة بنيت على نمط عسكري لأن عشائر الجنوب هي عشائر ثائرة ولكي يسيطروا على حرب العصابات جعلوا شوارعها مستقيمة، وهناك فن وهو فن أسطوري ويسمى فن (ابو جداحة) اي من القدح وما ان تمرر العود الأول حتى تشتعل النار، وابو قداحة هو فن مائي تقدر ان تفتحه بالمسحاة وتغرق المدينة ،فاذا تحركت العشائر فهذا الفن يفتح وفي جانب الفرات تصبح الناصرية جزيرة يمكن السيطرة عليها ،هذا ما وصلت إليه بعد ان أشبعت من خلال بحوثي في الأسطورة والأديان القديمة ،وكانت هذه التراكمات دافعا للكتابة وأنتجت رواية بهذا الصدد اسمها (المخطوطة) .

واضاف انا كاتب واقعي مهموم بالانسان ومصائره وانتجت قصصا كثيرة وعلى سبيل المثال (الخروج من الدائرة) وهناك علامات في حياتي مثلا عندما كنت اذهب الى البصرة مع والدتي وجدتي العمياء كنت اشاهد مدينة في الصحراء منارتها مائلة وعندما اسأل والدتي عنها تقول هي ذلك منذ الأزل وبعد ذلك عرفت ان اسم هذه المدينة –الخميسية – في جنوب سوق الشيوخ وهي اول مدينة كانت يربطها الماء بين الخميسية والشطرة وزقورة اور.

فيما قال الامين العام الفريد سمعان مرحبا بجاسم العاصي الكاتب والناقد والروائي والمناضل الذي كرس حياته للنضال والكتابة وعاش حياة صعبة، وهي مليئة بالشجون والأسى والحسرة والعذاب نفسيا وحتى بدنيا وهذا ما دفعه الى البحث عن وسائل أخرى يستعيد بها شخصيته، فكان هذا واضحا في انتمائه السياسي ،جاسم عاصي اغنى المكتبة العراقية بالكثير من الكتابات وعلى رأسها النقد ،والناقد يكون على مستوى من الثقافة الواسعة والغنية بالمعرفة.